العدد 12A مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية شبـــاط 2026
No. 12A Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences February 2026
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

المؤسسة الطبية في الدولة العثمانية : البنية والتنظيم والتحول

م.م.بشار فاروق عبد عمر
جامعة الموصل / كلية التربية الاساسية / قسم التاريخ

المقدمة

ان الطب من الجوانب المهمة التي تكشف مدى التقدم الحضاري للمجتمعات ، اذ يرتبط تطوره بمدى تقدم المعرفة العلمية والتنظيم الاجتماعي داخل كل دولة ، وجاء علم الطب في الدولة العثمانية عبارة عن امتداد طبيعي للتراث الطبي الاسلامي الذي ازدهر في المراكز العلمية الكبرى مثل بغداد ودمشق والقاهرة ، اذ اعتمد الاطباء العثمانيون في بداياتهم على مؤلفات الاطباء المسلمين الاوائل وفي مقدمتهم ابن سينا والرازي والزهراوي ، وان علومهم بقت تدرس وتستخدم في التعليم والممارسة الطبية لقرون طويلة ومع اتساع الدولة العثمانية وازدياد المدن الكبرى فيها ظهرت الحاجة الى مؤسسات صحية قادرة على تقديم العلاج للمرضى وتنظيم العمل الطبي بصورة اكثر تنظيما واكثر استقراراً ، ومن اجل ذلك فقد انتشرت المستشفيات الوقفية ودور الشفاء التي لم تقتصر وظيفتها على معالجة المرضى فقط ، بل انها ادت دوراً مهماً في ايواء الفقراء وتقديم الطعام والرعاية لهم ، كما اصبحت في الوقت ذاته مراكز لتعليم الطب وتدريب الاطباء ، وقد اسهم هذا النظام في بناء شبكة من المؤسسات الصحية التي ارتبطت بقيم التكافل الاجتماعي والخدمة العامة داخل المجتمع العثماني وتكمن اهمية دراسة الطب في الدولة العثمانية في انها تساعد على فهم طبيعة النظام الصحي والاجتماعي في تلك الدولة ، وتوضح الدور الذي لعبته المؤسسات الوقفية والتنظيم الاداري في دعم الخدمات الصحية وتنظيم المهنة الطبية ، فضلاً عن ابراز التطورات التي شهدها هذا القطاع مع اصلاحات او ما عرف بمرحلة التنظيمات في القرن التاسع عشر وذلك عندما بدأت الدولة العثمانية في ادخال اساليب الطب الحديث بصورة اكثر تخصصاً وبناءً على ذلك فقد تناول البحث موضوع في الدولة العثمانية من خلال ثلاث محاور رئيسية ، تناول المحور الاول الجذر التاريخية لنشأة الطب العثماني والاسس التي قام عليها ، بينما يبحث المحور الثاني المؤسسات الطبية والتعليم الصحي في الدولة العثمانية ودور المستشفيات الوقفية في العلاج والتعليم ، اما المحور الثالث فيتناول الطب والمجتمع في الدولة العثمانية من خلال دراسة دور المؤسسات الصحية في خدمة المجتمع وتطور الوعي الصحي فيه .

الكلمات المفتاحية : الطب في الدولة العثمانية ، المستشفيات العثمانية ، دور الشفاء ، التعليم الطبي العثماني ، الاوقاف الصحية .

The Medical Establishment in the Ottoman State: Structure, Organization, and Transformation

Bashar Farouk Abdul Omar
University of Mosul / College of Basic Education / Department of History

Abstract

This study examines the development of medicine in the Ottoman Empire and highlights the main institutions and practices that shaped the Ottoman health system. Ottoman medicine was largely influenced by the earlier Islamic medical tradition, particularly the works of prominent physicians such as Ibn Sina and Al-Razi, whose writings formed the theoretical basis of medical education and practice for centuries. As the Ottoman state expanded and urban centers grew, the need for organized healthcare institutions led to the establishment of hospitals and charitable medical foundations known as *Dar al-Shifa*. These institutions combined treatment, medical education, and social care, and were largely supported by charitable endowments (*waqf*), which ensured the

continuity of healthcare services.The study also explores the administrative organization of the medical profession, especially the role of the *Chief Physician (Hekimbashi)* in supervising doctors and regulating medical practice across the empire. In addition, the research examines the relationship between medicine and society, showing how Ottoman hospitals played an important social role by providing free treatment and care for the poor. Finally, the study addresses the medical reforms of the nineteenth century, particularly during the Tanzimat period, when the Ottoman state introduced modern medical education and reorganized hospitals according to new scientific and administrative standards. Through these developments, Ottoman medicine gradually moved from a traditional system rooted in Islamic medical heritage to a more modern and institutionalized healthcare structure.

Keywords: Ottoman Medicine, Ottoman Hospitals, Dar al-Shifa, Ottoman Medical Education, Hekimbashi (Chief Physician), Medical Waqf (Charitable Endowments)

اولاً / الجذور التاريخية للطب العثماني(البنية)

شكل الطب في الدولة العثمانية امتداداً طبيعيا للتراث الطبي الاسلامي الذي تراكم عبر قرون طويلة في المراكز العلمية الكبرى مثل بغداد ودمشق والقاهرة وقرطبة ، وعندما بدأ العثمانيون فتوحاتهم في الاناضول والبلقان كانت لديهم قاعدة معرفية راسخة ورثوها من الطب العباسي والسلجوقي وكذلك من الكتب الطبية التي كانت تدرس دون انقطاع منذ قرون ، وقد اعتمد الاطباء العثمانيون بشكل اساس على مؤلفات مثل القانون لابن سينا والحاوي للرازي وهما النصان الذين شكلا الاسس النظرية للتعليم ثم الممارسة الطبية في العهود الاولى للدولة العثمانية ، ومن خلال هذا فقد حافظ الطب العثماني على ارتباطه العميق بالطب اليوناني والاسلامي عبر ما يسمى بنظرية الاخلاط التي هيمنت على التصور الطبي في تلك الفترة ، مما جعل التوازن الجسدي والنفسي كمدخل لفهم المرض وطرق علاجه [1]

ومع تأسيس الدولة العثمانية لمراكزها الحضرية الكبرى ظهرت الحاجة الى مؤسسات علاجية دائمة تستطيع تقديم الرعاية للمرضى والفقراء والمساكين ، وهكذا بدأ ما يسمى ب (دور الشفاء) في الظهور بوصفها اولى المؤسسات الطبية المنظمة في الدولة العثمانية ، وقد مثلت هذه الدار بالاخص في مدينة بورصة ثم مدينة ادرنة (1488) نقطة تحول مهمة في تاريخ الطب العثماني ، اذ جمعت بين العلاج والتعليم والاواء في وقت واحد ، وقد اظهرت الوقفيات الخاصة بهذه المؤسسات اهتماما واسعاً بالتنظيم ، فهي تحدد اجور الاطباء والممرضين ، وتصف انواع الطعام المخصص للمرضى ، وتذكر بالتفصيل طريقة اعداد الادوية ، وعكست هذه الوقفيات ايضا فهما واسعا بأن المستشف ليس مجرد مكان للعلاج بل مؤسسة اجتماعية تهتم بكرامة الانسان وحياته اليومية [2]

وتذكر المصادر بأن هناك وعي عثماني مبكر وشامل للعلاج المتكامل في الدولة العثمانية ، اذ لم يكن الاهتمام بالمرضى مقتصراً على الاعراض الجسدية فقط ، بل شمل ايضا الجوانب النفسية والروحية ، فقد ضمت دار الشفاء[3] في ادرنة عرف مخصصة للعلاج النفسي والتي استخدم فيها الموسيقى والتلاوة والماء الجاري لتهدئة المرضى واستعادة توازنهم ، وهي ممارسة راسخة في التراث الطبي الاسلامي ترى بأن الصوت والجرس والنغم له اثر مباشر على الامزجة والاخلاط ، اضافة الى ذلك فأن وجود موسيقيين مختصين ضمن ملاك المستشفى يكسف عن مدى تطور النظرة العثمانية لمفهوم الرعاية الصحية بوصفها عملية شاملة تتجاوز العلاج الدوائي الى الاهتمام بالراحة للمريض. [4]

ورغم اعتماد الطب العثماني على نظرية الاخلاط الاربعة ، فأنه استوعب ايضاً الطب الشعبي والطب الديني ، اللذان كان لهما حضور واسع بين عامة الناس ، فقد انتشر استخدام الاعشاب والحجامة والكي

والتمائم هذا الى جانب الرقية الشرعية في المجتمع العثماني ، سيما في المناطق الريفية ، وبدل ان تنشأ قطيعة بين الطب العلمي والطب الشعبي عاش النموذجان جنباً الى جنب ، وكان الاطباء في كثير من الاحيان على معرفة بالعلاجات الشعبية ويستخدمون بعضها عندما تدعو الحاجة ، وهذا التلازم يعكس طبيعة المجتمع العثماني الذي جمع بين تراث روحي وثقافي متنوع وبين طب قائم على المعرفة المكتوبة. (5)

كما شهد العصر العثماني المبكر نشاطاً واضحاً في حركة التأليف والترجمة الطبية ، ويبرز في هذا السياق العثماني شرف الدين صابونجو اوغلو (ت 1468) الذي الف كتابه الشهير (الكتاب الخاني او الجراحة الخانية) وهو من اهم الكتب الجراحية في التاريخ الاسلامي والعثماني ، ويتميز برسومات دقيقة للادوات الجراحية وطرق العمليات ، وقد استخدمت مدارس الطب العثمانية هذا الكتاب مع كتب ابن سينا والزهراوي / مما يظهر اهتمام الدولة بتعليم الطب بطريقة منهجية تجمع بين النظرية والممارسة. (6)

مثل منصب الحكيمباشي (رئيس الاطباء) احد اهم الركائز التنظيمية في النظام الصحي العثماني ، اذا تولى الاشراف على الاطباء والجراحين والصيادلة في استنابول والولايات العمانية ، واسندت اليه مهمة فحص المؤهلين للممارسة الطبية واصدار التراخيص الرسمية لهم ، كما كان مسؤولا عن متابعة المستشفيات السلطانية ورفع التقارير الصحية الى القصر ، وهو ما منحه نفوذاً كبيراً في توجيه السياسة الصحية العامة ، وتشير المصادر الى ان الحكيمباشي كان يستدعى عند وقوع الامراض الخطيرة داخل القصر او الولايات ، وانه لعب دور مهم في ضبط الممارسات غير المرخصة ومنع انتشار الدجالين ، مما يعكس ادارك الدولة العثمانية المبكر لاهمية الرقابة الطبية والتنظيم الاداري للمهنة. (7)

ولم يكن هذا النظام الاداري قائما لولا وجود الوقف الطبي(8) الذي كان الركيزة الاساسية لتمويل المؤسسات الصحية العثمانية ، فقد خصص السلاطين والسيدات من اهل القصر والاعيان اوقاف واسعة للمستشفيات ، مما ضمن استمرار خدماتها حتى من خلال الازمات المالية والسياسية ، وتشير المصادر الى تفاصيل دقيقة تتعلق برواتب الاطباء والممرضين ومخصصات الطعام والادوية وصيانة المباني ، وهو ما يكشف ان الرعاية الصحية كانت تعد خدمة اجتماعية ذات بعد ديني واخلاقي ، وقد اتاح هذا النظام الوقفي استمرار تقديم العلاج للفقراء بشكل مجاني ، الامر الذي حول المستشفيات العثمانية الى جزء فاعل من شبكة الرعاية الاجتماعية التي تهدف الى حماية الفئات الضعيفة والمحتاجة. (9)

وبهذا يتضح ان الجذور التاريخية للطب العثماني قامت على ثلاث ركائز رئيسية ، اولها الارث الطبي الاسلامي الذي وفر الاساس النظري المتين للممارسة الطبية ، وثانيها المؤسسات الصحية الوقفية التي دمجت بين العلاج والايواء والتعليم ، وثالثها التنظيم الاداري الذي مثله منصب الحكيمباشي وما ارتبط به من رقابة وتخصص ، هذه العناصر مجتمعة هي التي مهدت لظهور مرحلة لاحقة من التحديث الطبي في القرن التاسع عشر (10)

ثانيا / المؤسسات الطبية والتعليم الصحي في الدولة العثمانية(التنظيم)

وقد اعتمد العثمانيون على الوقف بوصفه الركيزة الاساسية التي تقام عليه المستشفيات ودور الشفاء ، وهو ما منح هذه المؤسسات القدرة على الاستمرار خارج التقلبات السياسية والمالية ، وقد جاءت هذه المستشفيات لتجمع بين العلاج والايواء والتعليم ، بحيث تحولت الى مراكز متعددة الوظائف تقدم خدمات صحية واجتماعية في الوقت نفسه ، وتضمن العدالة الصحية لجميع الفئات وخاصة الفقراء الذين وجدوا فيها ملاذا يوفر لهم العلاج دون مقابل ، وتشير المصادر الى ان المستشفيات الكبرى ، مثل دار الشفاء في ادرنة عن وجود نظام مالي واداري محكم يشمل تحديد رواتب الاطباء والممرضين ، وتنظيم وجبات الطعام وتوفير العقاقير ، وطريقة تحضير الادوية ويشير هذا التنظيم الى وعي مبكر لدى العثمانين بأن الصحة ليست مسألة عادية ، بل هي جزء من شبكة تكافل اجتماعي وديني ، تقوم على خدمة الانسان

وصون كرامته ، وقد جعل الادراك المشفى مؤسسة حيوية في البناء الحصاري العثماني ، تتجاوز وظيفتها العلاجية لتصبح ركيزة من ركائز النظام الاجتماعي العام. [11]

كان التعليم الطبي جزء اساسي من بنية المؤسسات الصحية في الدولة العثمانية ، اذ اعتمدت المستشفيات الكبرى بوصفها مراكز علاجية وتعليمية في الوقت نفسه ، فقد جرى اعداد الاطباء عبر نظام يجمع بين الدرس النظري والممارسة العملية اليومية ، حيث كان المتدربين يتعلمون فنون التشخيص واساليب العلاج تحت اشراف الاطباء الكبار ، ويشاركون في تحضير الادوية ضمن الصيدليات الملحقة بالمستشفيات السلطانية ، كما ان هذا النظام لم يكن تقليدياً او عشوائيا بل مستند الى مناهد مكتوبة تعتمد على التراث الاسلامي الكلاسيكي مثل كتب ابن سينا والرازي ، الى جانب مؤلفات عثمانية مهمة ابرزها كتاب شرف الدين صابونجو اوغلو ، وقد اسهم هذه النموذج التعليمي في تخريج اطباء ذوي معرفة متينة بالنظريات الطبية وقدرة عملية على تطبيقها ، وهو ما جعل الطب العثماني قادر الى حد ما على المنافسة رغم محدودية الادوات مقارنة بالتطور الاوربي انذاك[12] .

ومع تزايد الحاجة الى تنظيم العمل الطبي ، وبرز منصب الحكيمباشي[13] ليشكل السلطة الطبية العليا في الدولة العثمانية ، فقد كان هذا المنصب مسؤولا عن الاشرا على الاطباء في العاصمة والولايات ، ومراقبة جودة العلاج ومنح تراخيص مزاولة المهنة وتنظيم التعيينات الطبية ، اضافة الى الاشراف على المستشفيات السلطانية ، وتشير المصادر الى ان العلاقة بين الحكيمباشي والقصر كانت وثيقة للغاية ، وان القرارات الصحية الكبرى كانت تتخذ ضمن دائرة السلطة السياسية المركزية ، مما يعكس الطابع السلطاني المهمين على النظام الصحي ، كما كان الحكيمباشي يستدعى للفصل في النزاعات الطبية والنظر في شكاوي المرضى ، ويخضع في بعض الاحيان لاجراءات قضائية امام المحاكم الشرعية ، وهو ما يوضح تعددية الرقابة بين السلطة السياسية والقضاء الديني في تنظيم المهنة الطبية[14]

ولم تكن المؤسسات الصحية مقتصرة على العلاج الجسدي فقط ، بل شملت رعاية المرضى النفسيين بطريقة متقدمة مقارنة بزمنها ، فقد استخدمت المستشفيات الوقفية العلاج بالموسيقى والماء الجاري لتهدئة المرضى الذين يعانون من اضطرابات نفسية ، وهو ما يظهر بوضوح في دار الشفاء بادرنة ، وان هذا النوع من العلاج لم يكن مجرد تقليد شعبي ، بل كان مرتبط بفهم عثماني واسع للانسان بوصفه ذا ابعاد نفسية وروحية الى جانب الجسد ، ومع دخول القرن التاسع عشر ، اصبحت رعاية المرضى النفسيين اكثر تنظيماً ، وبدات المستشفيات تتخصص بشكل تدريجي في تقديم خدمات عقلية وفق اساليب اقرب الى النماذج الاوربية الحديثة. [15]

ومع اصلاحات التنظيمات في القرن التاسع عشر ، دخلت المؤسسات الصحية العثمانية مرحلة جديدة من التحديث ، فقد تبنت الدولة نظام طبي قائم على التخصص ، كما اعادت تنظيم المستشفيات وفق معايير حديثة تتضمن غرف العلميات والمختبرات ، والصيدليات المركزية ، كما اسست مجالس طبية لتحديد شروط ممارسة المهن الطبية ، وفرضت قوانين الترخيص ، وهو ما اوجد طبقة طبية منضبطة بشكل علمي واداري ، واصبح التعليم الطبي يعتمد على مناهج اوربية حديثة ، خاصة بعد افتتاح مدرية الطب الامبراطورية سنة 1827 والتي ادخلت مواد جديدة مثل التشريح والكمياء الطبية ، وارسلت الطلاب الى اوربا للتخصص. [16]

وترافق هذا التحديث الاداري والعلمي مع تغيرات معمارية واضحة في بنية المستشفيات ، فقد انتقلت الابنية من تصميمات تقليدية ذات باحات داخلية واسعة الى نماذج هندسية حديثة تعتمد على التخطيط الخطي والممرات الواسعة والتهوية الطبيعية ، وظهرت مستشفيات حديثة واجنحة متخصصة ، وان التطور في التخطيط الصحي كان جزء من رؤية عثمانية اوسع تهدف الى تحسين شروط الصحة العامة وتقليل انتشار الاوبئة[17]

وبذلك يتضح ان المؤسسات الطبية في الدولة العثمانية لم تكن مجرد منشأت للعلاج ، بل كانت منظومة متكاملة في بنيتها ووظيفتها ، دمجت بين الوقف والادارة والتعليم والممارسة العلمية ، وقد مهد هذا الاساس القوي لنجاح عملية التحديث في القرن التاسع عشر ، عندما بدأت الدولة باعادة بناء القطاع الصحي على اسس حديثة تجمع بين المعرفة الطبية الاوربية والخصوصية العثمانية التي حافظت على الجانب الانساني والاجتماعي في تقديم الرعاية الصحية. (18)

ثالثا / الطب والمجتمع في الدولة العثمانية (التحول)

احتل الطب موقع اساسي في البنية الاجتماعية العثمانية ، اذ لم يكن مجرد مهنة تقنية او ممارسة علاجية ، بل كان جزء من منظومة اخلاقية ودينية ترى في رعاية المريض واجب جماعي ، فقد قامت المؤسسات الصحية الوقفية بدور كبير في تعزيز قيم التكافل ، اذ انها لم تقدم العلاج فقط ، بل وفرت الطعام والملبس والمأوى للمرضى الفقراء ، وكانت المستشفيات مثل دار الشفاء في ادرنة او استانبول تعد مؤسسات اجتماعية متكاملة ، اذ انها تستقبل جميع الفئات بغض النظر عن الدين او الطبقة ، وهو ما جعلها عنصراً فاعلاً في تحقيق التوازن داخل المجتمع. (19)

وساهمت المستشفيات العثمانية في دمج الفئات الضعيفة داخل المجتمع من خلال توفير الرعاية المجانية للمرضى الذين لا يمتلكون القدرة على دفع تكاليف العلاج ، فقد كانت هذه المؤسسات تقدم وجبات يومية للمرضى ، وتجهز لهم البسة نظيفة ، وتخصص اجنحة للعجزة الذين لا يملكون عائلات ترعاهم ، كما خصص بعض المستشفيات اماكن للمسافرين المرضى الذينيي يصلون الى المدن الكبرى وليس لهم مأوى او اهل ، ويتضح من ذلك ان المستشفيات العثمانية ليست مجرد منشأت صحية ، بل كانت جزءا من شبكة الرعاية الاجتماعية التي تولي اهتماماً خاصاً بحماية الفئات الاكثر هشاشة. (20)

وكان الوعي الصحي في المجتمع العثماني متأثراً مباشرة بالتعاليم الدينية التي حثت على النظافة والعلاج والوقاية من الامراض ، فقد انتشرت الحمامات العامة التي ادت دوراً مهماً في الحد من انتشار الامراض ، وارتبطت بالنظافة بوصفها جزءاً من العبادة ، كما انتشرت الاوقاف المخصصة لشراء الدور للمرضى الفقراء او تمويل الاقامة في المستشفيات ، مما يعكس تجذر مفهوم الهير والاحسان في المجتمع ، وفي الوقت نفسه لعبت زيارات المرضى وتقديم الطعام لهم دور اجتماعي بارز، وساعدت في تعزيز العلاقات الانسانية وتقوية الروابط داخل المجتمع . (21)

ومن ابرز سمات الطب العثماني الدمج بين العلاج الجسدي والروحي ، اذ اعتبر العثمانيون ان صحة الانسان لا تنحصر في الجسد فقط ، بل تتعلق بالنفس والعقل والروح ، وقد اشتهرت دار الشفاء في ادرنة باستخدام العلاج بالموسيقى والماء الجاري لعلاج الاضربات النفسية وهو تقليد يعود الى اطباء مسلمين قدامى رأوا ان التوازن الروحي عنصر اساسي في علاج الامراض ، وتشير الدراسات الحديثة الى ان هذا الاسلوب لم يكن سطحيا او كليا ، بل كان مستند الى نظريات طبية اعتمدها الاطباء المسلمون وطورها العثمانيون ، كما ان المستشفيات العثمانية في بلاد الشام اولت اهتمام مشابه بالجانب النفسي والروحي ، اذ خصصت غرف للعلاج الهادئ وتلاوة الادعية والابتهالات ، مما يعكس رؤوية واسعة للعلاج تتجاوز حدود الجانب الجسدي وحده ، وتنسجم مع الطبيعة الروحية للمجتمع العثماني في ذلك العصر. (22)

كما ادت الزوايا والتكايا الصوفية دور مهم في المجتمع بوصفها اماكن تقدم فيها خدمات صحية اولية ، وخاصة في المناطق الريفية التي لم تكن تصلها خدمات الدولة الطبية بسهولة ، فقد كان المرضى يجدون في هذه الزوايا ملاذ جيد يقدم فيه الطعام والدواء الشعبي والايواء المؤقت ، وقد شكل هذا التكامل بين المؤسسات الرسمية وغير الرسمية منظومة رعاية اجتماعية واسعة تضمن عدم ترك اي فرد بدون مساعدة . (23)

مع اصلاحات التنظيمات في القرن التاسع عشر ، دخلت الدولة العثمانية مرحلة جديدة من اعادة بناء القطاع الصحي وفق معايير حديثة ، فقد تم اعتماد التعليم الطبي الاوربي ، وتنظيم المهن الصحية ،

واعادة هيكلة المستشفيات وفق نظام التخصص والغرف الحديثة والمختبرات والصيدليات المركزية ، وذد شكل هذا التحول نقطة فاصلة جعلت الرعاية لصحية اكثر انضباطاً وادارة ، كما ان الدولة العثمانية انشأت مجالس صحية جديدة ، ووسعت من اجراءات الوقاية مثل فرض انظمة الحجر الصحي في الموانئ واطلاق حملات تلقيح ضد الجدري ، مما ظهر انتقال الطب العثماني من طابع تقليدي الى ادارة صحية مركزية تهدف الى التحكم بالاوبئة وتحسين الصحة العامة . [24]

ان مدارس الطب العثمانية مارست دوراً رئيسياً في تكوين جيل من الاطباء يمتلك معرفة نظرية وعملية متكاملة ، وكان التعليم الطبي يتم داخل المستشفيات الكبرى اذ يتلقى الطلبة دروس في التشريح والصيدلة والعقاقير ، الى جانب التدريب العملي في معالجة الجروح والامراض الداخلية ، واعتمدت المدارس على مؤلفات العرب والمسلمين مثل ابن سينا والزهراوي ، بالاضافة الى كتب اوربية مترجمة عقب حركة الترجمة الواسعة التي بدأت منذ القرن السابع عشر ، وقد ساهم هذا التنوع المعرفي في تكوين اطباء يجمعون بين الخبرة التقليدية والمعرفة الحديثة. [25]

وكانت القعاقير الطبية جزء اساسي من الممارسة العلاجية العثمانية ، اذ اعتمد الاطباء على مزيج واسع من الاعشاب المحلية والمستحضرات الصيدلانية المستوردة من بلاد فارس والهند ومصر ، وقد تطورت الصيدليات الملحقة بالمستشفيات لتصبح مراكز حقيقية لتحضير الادوية وفق وصفات ثابتة ، وارتبط ذلك بظهور اختصاصيين في تركيب العقاقير يعروفون بأسم (العطارين) وورث العثمانيون ومعظم هذه الخبرات من الطب الاسلامي ، واضافوا اليها خبرات جديدة جاءت نتيجة التبادل التجاري والعلمي مع اوربا. [26]

ولعبت الدولة العثمانية دور مهم في دعم القطاع الطبي عبر الاوقاف السلطانية التي خصصت ميزانيات ثابتة للمستشفيات ولرواتب الاطباء ، ولشراء الادوية وصيانة الابنية ، كما اسس الدولة العثمانية مجالس صحية مهمتها تنظيم المهن الطبية ومراقبة تطبيق اللوائح ، فيما مارس منصب الحكيمباشي دوره في الاشراف على الكوادر الطبية وضبط جودة الخدمات الصحية ، وترتبط هذه الجهود بما عرفته الدولة العثمانية من اصلاحات واسعة خلال عصر التنظيمات ، اذ اخلت انظمة الحجر الصحي ، وتم اصدار تعليمات مفصلة تتعلق بالتلقيح والوقاية من الامراض الوبائية. [27]

وفي اواخر القرن التاسع عشر شهدت الدولة العثمانية تحول مهم في مجال الرعاية الصحية المتخصصة ، تمثل في الاهتمام المتزايد بالفئات الضعيفة ، ولا سيما الاطفال والنساء ، ويبرز هذا التوجه بوضوح في تأسيس المستشفى الحميدي للاطفال في استنابول ، والذي عد اول مؤسسة عثمانية متخصصة لرعاية الطفولة على اسس علمية حديثة ، فقد خصصت له الدولة اطباء ذوي خبرة ، وهيأت فيه اقسام مجهزة لرعاية الامراض الشائعة لدى الاطفال في ذلك الوقت ، مع اعتماد سجلات طبية منهجية تسجل فيها حالة كل مريض وطرق العلاج المتبعة ، وقد مثل هذا المستشفى نقلة نوعية في الوعي الصحي العثماني ، اذ لم يقتصر دوره على العلاج ، بل ساهم في نشر مفهوم الرعاية الوقائية للاطفال ، وفي رفع مستوى الوعي الاجتماعي بأهمية طب الاطفال ، كما ان هذا المستشفى كان جزء من سياسة عثمانية اوسع هدفت الى تنظيم الطب التخصصي وتطوير الخدمات الصحية خلال مرحلة التحديث المتأخرة في الدولة . [28]

الخاتمة

ان الطب في الدولة العثمانية لم يكن مجرد ممارسة علاجية محدودة ، بل كان جزءا من منظومة حضارية واجتماعية متكاملة ارتبطت ببناء الدولة وتنظيمها الاداري وكذلك من قيمتها الدينية والاجتماعية ، فقد اعتمد الطب في بداياته الاولى على التراث الاسلامي الذي اسسه كبار الاطباء المسلمين مثل ابن سينا والرازي ، الامر الذي وفر اساس علمي استندت عليه الممارسة الطبية لعدة قرون ، ومع توسع الدولة العثمانية وازدياد مراكزها الحضرية برزت الحاجة الى مؤسسات صحية ذات تنظيم عالي ، فظهرت دور

الشفاء والمستشفيات الوقفية التي جمعت بين العلاج والتعليم والايواء ، واسهمت كذلك في تقديم الرعاية الصحية لمختلف فئات المجتمع ولا سيما الفقراء

كما يظهر ان التنظيم الاداري للمهنة الطبية كان عامل مهم في تطور النظام الصحي العثماني ، اذا تولى منصب الحكيمباشي الاشراف على الاطباء وتنظيم العمل الطبي ، وجاء الوقف ليسهم في توفير التمويل المستمر للمؤسسات الصحية وضمان استمرارية خدماتها ، وفي الوقت ذاته فقد اسهم الطب في دور اجتماعي واضح من خلال ارتباطه الوثيق بقيم التكافل والرعاية الاجتماعية التي تجسدت في تقديم العلاج المجاني والاهتمام بالفئات الضعيفة داخل المجتمع

ومع مجيئ عهد التنظيمات في الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر فقد دخل الطب العثماني مرحلة جديدة من التحول ، اذا بدأت الدولة العثمانية تتبنى اساليب الطب الحديث وتنظيم مسائل التعليم الطبي وفق مناهج اكثر تخصصاً ، كما ان الدولة ادخلت اصلاحات ادارية وصحية هدفت بالدرجة الاساس الى تحسين مستوى الخدمات الطبية ومواجهة الاوبئة التي كانت منتشرة انذاك ، وبالتالي فأنه يمكن القول ان المؤسسة الطبية في الدولة العثمانية مرت بمسار تطوري انتقلت فيه من مرحلة الاعتماد على التراث الطبي التقليدي الى مسار التحديث والتنظيم المؤسسي وهذا يدل على عملية التكيف للدولة العثمانية مع التغيرات والتحولات العلمية والصحية التي شهدها العالم في تلك الفترة ولا سيما اوربا .

الهوامش :

([1])Miri Shefer-Mossensohn, “Medicine in the Ottoman Empire,” Encyclopedia of Islam and the Muslim World, 2nd ed., Springer, 2016, pp. 3048–3049,

([2]) *Miri Shefer-Mossensohn, “Charity and Hospitality: Hospitals in the Ottoman Empire in the Early Modern Period,” in: Poverty and Charity in Middle Eastern Contexts, SUNY Press, Albany, 2003, pp. 125–128. Miri Shefer-Mossensohn, “The Many Masters of Ottoman Hospitals: Between the Imperial Palace, the Harem, Bureaucracy, and the Muslim Law Courts,” Turkish Historical Review, vol. 5, 2014, pp. 102–104.*

(4) دار الشفاء : مؤسسة طبية ظهرت في الحضارة الاسلامية واستمرت خلال عهد الدولة العثمانية ، كانت مخصصة لعلاج المرضى وتقديم الرعاية الصحية لهم ، كما كانت مسؤولة عن توفير الادوية والاقامة للمرضى، اضافة الى دورها التعليمي المهم في تدريب الاطباء من خلال الجمع بين الدراسة النظرية والتطبيق العملي داخل هذه المؤسسة ، للمزيد ينظر

Manfred Ullmann, *Islamic Medicine*, Edinburgh University Press, Edinburgh, 1978.

([5]) Mossensohn, *op. cit.*, pp. 129–131; Şeyma Afacan, *From Traditionalism to Modernism: Mental Health in the Ottoman Empire*, Yüksek Lisans Tezi, Sabancı Üniversitesi, 2010, s. 45–48,

عزة حسن ، المؤسسات الصحية العثمانية الحديثة في سوريا (المستشفيات وكلية طب الشام) مجلة مجمع اللغة العربية ، المجلد 79 ، الجزء 3 ، دمشق ، د.ت ، ص638

([6]) Mossensohn, *op. cit.*, pp. 3048–3050;

اكمل الدين احسان اوغلي ، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، ترجمة : صالح سعداوي ، (استانبول ، 1999) ، ص 307

([7])Ekmeleddin İhsanoğlu, *Science in the Ottoman Empire*, Springer, 2008, pp. 206–208

([8]) Mossensohn, *op. cit.*, pp. 102–104,

اوغلي ، المصدر السابق ، ص 307

9( )(الوقف الطبي : نظام خيري يقوم على تخصيص اموال وممتلكات بصورة دائمة لدعم وتمويل المؤسسات الصحية مثل المستشفيات ودور الشفاء ، وقد شكل هذا النظام احد اهم مصادر تمويل الخدمات الصحية في المجتمعات الاصلامية ، اذا مكن العلاج المجاني للفقراء وضمن استمرار عمل المؤسسات الطبية بدون توقف للمزيد ينظر

Amy Singer, *Constructing Ottoman Beneficence: An Imperial Soup Kitchen in Jerusalem*, State University of New York Press, Albany, 2002.

([10]) Mossensohn, *op. cit.*, pp. 131 – 133,

حسن ، المصدر السابق ، ص 637 – 640

([11])İhsanoğlu, *a.g.e.*, s. 218; Mossensohn, *op. cit.*, p. 3053.

(12)Mossensohn, *op. cit.*, pp. 125–128,

حسن ، المصدر السابق ، ص 638 .

([13]) İhsanoğlu, *a.g.e.*, p. 207; Mossensohn, *op. cit.*, pp. 128–129,

حسن ، المصدر نفسه ، ص640

([14]) الحكيمباشي : هو كبير الاطباء في الدولة العثمانية واعلى سلطة طبية فيها ، وكان يتولى الاشراف على الاطباء والجراحين والصيادلة وتنظيم ممارسة المهن الطبية ومنح الاجازات للاطباء ، فضلا عن متابعة شؤون المؤسسات الصحية والاشراف على الخدمات الطبية في العاصمة العثمانية ، للمزيد ينظر :

M. Alper Yalçınkaya, *Learned Patriots: Debating Science, State, and Society in the Nineteenth-Century Ottoman Empire*, University of Chicago Press, Chicago, 2015.

(15) Mossensohn, ***op. cit.***, pp. 125–128.

(16) Afacan, a.g.e., s. 48; Mossensohn, op. cit., pp. 129–130,

حسن ، المصدر السابق ، ص 642 .

(17) Ceren Gülser İlikan-Rasimoğlu, "Boundaries, Education and Licence: The Nineteenth-Century Ottoman Standardization of Medical Professions," *Trakya University Journal of Social Science*, 2017, s. 230–233; İhsanoğlu, *a.g.e.*, s. 218–219.

([18]) Büşra Tonbuloğlu Altundağ and Nuran Kara Pilehvarian, "Architectural Change in Hospitals…," pp. 446–448; Mossensohn, *op. cit.*, pp. 3051–3052.

([19]) İhsanoğlu, *a.g.e.*, s. 221; Mossensohn, *op. cit.*, p. 3053.

([20]) Mossensohn, *op. cit.*, pp. 133–135,

حسن ، المصدر السابق ، ص 642 – 643

([21]) حسن ، المصدر نفسه ، ص640 – 642

([22]) Mossensohn, *op. cit.*, pp. 3048–3050.

(23)Afacan, *a.g.e.*, s. 45–48.

(24) Mossensohn, *op. cit.*, pp. 131–133, Mossensohn, *op. cit.*, p. 3051.

(25) İhsanoğlu, *a.g.e.*, s. 221;
احمد صالح علي محمد ، الامراض والاوبئة المعدية في الدولة العثمانية : دراسة في القرن التاسع عشر ، مجلة افاق الثقافة والتراث ، الجامعة الاسلامية ، ص 112 – 113

(26) Afacan, *a.g.e.*, s. 44–48,
حسن ، المصدر السابق ، ص634 – 635 .

(27) Mossensohn, *op. cit.*, pp. 3048–3049,
محمد ، المصدر السابق ، ص107 .

(28) **Mossensohn, *op. cit.*, pp. 3048–3049,**
محمد ، المصدر السابق ، ص 108

(29) فاطمة علي عبدالله عواد ، تاريخ تأسيس المستشفى الحميدي للاطفال باستانبول (1898 – 1912) المجلة العلمية بكلية الاداب ، جامعة تكريت ، العدد 57 ، السنة 2024 ، ص 435 – 436 .

المصادر

اولا / المصادر الاجنبية

1- Miri Shefer-Mossensohn, “Medicine in the Ottoman Empire,” in *Encyclopedia of Islam and the Muslim World*, 2nd ed., Springer, 2016.

2- Miri Shefer-Mossensohn, “Charity and Hospitality: Hospitals in the Ottoman Empire in the Early Modern Period,” in *Poverty and Charity in Middle Eastern Contexts*, SUNY Press, Albany, 2003.

3- Miri Shefer-Mossensohn, “The Many Masters of Ottoman Hospitals: Between the Imperial Palace, the Harem, Bureaucracy, and the Muslim Law Courts,” *Turkish Historical Review*, vol. 5, 2014.

4- Manfred Ullmann, Islamic Medicine, Edinburgh University Press, Edinburgh, 1978.

5- Amy Singer, Constructing Ottoman Beneficence: An Imperial Soup Kitchen in Jerusalem, State University of New York Press, Albany, 2002.

6- M. Alper Yalçınkaya, Learned Patriots: Debating Science, State, and Society in the Nineteenth-Century Ottoman Empire, University of Chicago Press, Chicago, 2015.

ثانيا / المصادر التركية

- Ekmeleddin İhsanoğlu, Science in the Ottoman Empire, Springer, 2008.

Şeyma Afacan, From Traditionalism to Modernism: Mental Health in the Ottoman Empire, Yüksek Lisans Tezi, Sabancı Üniversitesi, 2010.

Ceren Gülser İlikan-Rasimoğlu, "Boundaries, Education and Licence: The Nineteenth-Century Ottoman Standardization of Medical Professions," *Trakya University Journal of Social Science*, 2017.

Büşra Tonbuloğlu Altundağ and Nuran Kara Pilehvarian, "Architectural Change in Hospitals from the Ottoman Empire to the Republic of Türkiye."

ثالثا / المصادر العربية

11- اكمل الدين احسان اوغلي ، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، ترجمة : صالح سعداوي ، (استانبول ، 1999)

12- عزة حسن، المؤسسات الصحية العثمانية الحديثة في سورية – المستشفيات وكلية طب الشام ،مجلة مجمع اللغة العربية ، المجلد 79، الجزء 3، بدمشق، د.ت

13 - أحمد صالح علي محمد، الأمراض والأوبئة المعدية في الدولة العثمانية، مجلة آفاق الثقافة والتراث، 2019، الولايات المتحدة الامريكية

14 - فاطمة علي عبدالله عواد ، تاريخ تأسيس المستشفى الحميدي للاطفال باستانبول (1898 ، 1912) ، المجلة العلمية بكلية الاداب ، جامعة تكريت ، العدد 57 ، 2024.